المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية
بدمياط الجديدة

السياق والمتلقي في اللسانيات الحديثة
"سورة المطففين" أنموذجًا

الدكتورة
أحلام محمد على الزيادي
اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد
أبها المملكة العربية السعودية

العدد السابع عشر (مارس ٢٠٢٥م)
الترقيم الدولي/ (٢٣٥٦-٦٣٥٣) **ISSN**
الترقيم الدولي الإلكتروني/ (٢٦٣٦-٢٧١٦)
رقم الإيداع بدار الكتب / (١٨٧٦٦ /٢٠١٣)

السياق والمتلقي في اللسانيات الحديثة "سورة المطففين" أنموذجًا

أحلام محمد على الزيادي

قسم: اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد أبها المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: ٠٤٤٢٨١٢٩٦٠@kku.edu.sa

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة السياقات المتنوعة لسورة المطففين، سواء على مستوى السياق اللغوي الداخلي: ويشمل ما تحويه السورة من علامات لغوية تساعد في فهم دلالتها ومعانيها. أو السياق الخارجي: ويتضمن الظروف والملابسات المحيطة بنزول السورة والتي تعين على إدراك مقاصدها وما توجهه للمتلقين. واستمرارية هذا الغرض حيث لا يقتصر على حدود الألفاظ أو الزمان والمكان. كما يتناول المقاربة بين الدراسات اللسانية الحديثة للسياق، والدراسات التراثية التي اهتمت بسياق القرآن الكريم. ودور المتلقي الذي أغفلته الدراسات الحديثة لفترة، ثم ظهرت أهميته في فهم النص وتحليله والتفاعل معه. وبذلك يسعى البحث لتسليط الضوء على أبعاد السياق المختلفة للسورة القرآنية، سواء الداخلية أو الخارجية، والربط بين المناهج القديمة والحديثة في دراستها، وإبراز الدور الفاعل للمتلقي في التعامل مع النص القرآني. وللوصول إلى تحقيق هذه الأهداف اعتمد البحث على "المنهج الوصفي التحليلي" للوصول إلى فهم الدلالة عبر السياقات المختلفة وبيان أهمية السياق في تحديد المدلولات؛ حيث يصف هذا المنهج الظاهرة كما هي، ويتناولها بالتحليل للوصول إلى النتائج الموضوعية القابلة للقياس، وكانت المشكلة التي واجهت البحث هي الفصل بين

النص والسياق، فالسياق أعم من النص، وهو إطار عام ينتظم فيه النص بوحداته وعناصره، والسياق يتشكل من عدة عناصر أهمها المتلقي، فضلًا عن تفرد الدراسة وتعرضها لفهم النص القرآني من زاوية الدراسات اللسانية الحديثة وإعادة فهم كتب التراث في ضوء هذه النظريات.

وقد انتهى البحث إلى نتائج متعددة، أهمها: أن فهم السياق النصي يعتمد على فهم ما يتعالق معه من سياقات مجاورة تساعد في فهم مقصديته وفك رموزه، كما اتخذ البحث عدة توصيات أهمها: التوجه إلى السياق القرآني ودراسته بالخروج من تحجيرات اللسانيات الحديثة للسياق وحصره في شقين فقط، فالنص القرآني لا يفهم إلا بسياقات علائقية كثيرة يتفرد بها عن غيره من النصوص.

الكلمات المفتاحية: السياق- المتلقي- اللسانيات الحديثة – سورة المطففين.

Context and the Recipient in Modern Linguistics: Surah Al-Mutaffifin as a Model

Ahlam Mohammed Ali Al-Ziyadi

Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Humanities, King Khalid University, Abha, Kingdom of Saudi Arabia

Email: ٠٤٤٢٨١٢٩٦٠@kku.edu.sa

Abstract :

This research aims to study the diverse contexts of Surah Al-Mutaffifin, both at the level of internal linguistic context, which includes the linguistic markers within the surah that help in understanding its meanings and connotations, and the external context, which encompasses the circumstances and conditions surrounding its revelation that assist in grasping its objectives and messages directed at the recipients. This purpose extends beyond the limits of words, time, and place. The study also explores the comparison between modern linguistic studies on context and traditional studies that focused on the context of the Quran, as well as the role of the recipient, which was overlooked in modern linguistic studies for a period before its importance in understanding, analyzing, and interacting with texts became evident. Thus, the research seeks to highlight the different dimensions of context in the Quranic surah, both internal and external, linking classical and modern methodologies in its study and emphasizing

the active role of the recipient in engaging with the Quranic text. To achieve these objectives, the research employs the descriptive-analytical method to understand meaning through various contexts and to illustrate the importance of context in determining interpretations. This method describes the phenomenon as it is and analyzes it to reach objective and measurable conclusions. A major challenge faced in this study was the separation of text from context, as context is broader than the text itself; it serves as a general framework in which the text is structured with its units and elements. Context consists of several components, the most significant of which is the recipient. Additionally, this study is distinctive in its approach to understanding the Quranic text through the lens of modern linguistic studies and in reinterpreting classical heritage texts in light of these theories. The study concludes with several key findings, the most significant of which is that understanding textual context relies on analyzing related contexts that assist in interpreting its intent and unraveling its meanings. Among the study's primary recommendations is the need to approach the Quranic context with a perspective that transcends the limitations imposed by modern linguistics, which often restricts context to only two dimensions. The Quranic text can only be fully understood through multiple relational contexts, which set it apart from other texts.

Keywords: Context – Recipient – Modern Linguistics – Surah Al-Mutaffifin.

المقدمة

لا شك أن تفسير النص القرآني وفهمه كان الهدف الأسمى للمفسرين الذين ولجوا إليه بآليات مختلفة، ومع ظهور اللسانيات الحديثة كان لا بد من التوجه إلى النص القرآني عبر السياق وفهمه من خلال هذه المناهج التي تحاول أن تقدم فهمًا متكاملًا للنص والسياق في مستوياته المختلفة لاستخراج الدلالة التي تتوافق مع مقصدية النص وما وراء تشريعاته.

ومن الأمور التي أهملت قديمًا نظرة المتلقي لهذا النص القرآني المتعالي في بلاغته وقدسيته، ومدى فهمه لما تضمنه من حِكم، وأوامر، ونواهٍ، ومواعظ، وغير ذلك، وتأثير هذا النص عليه بطاقاته الإبداعية اللامتناهية مع قوته الإقناعية، مكتسية بإبداع جمالي أذعن له المعارض وسلَّم برفعة بلاغته وقوة نظمه.

ولما كانت النظريات الحديثة تعالج مثل هذه الأمور المهملة سلفًا، كان توجهنا في هذا البحث إلى هذين الشقين السابقين وهما: فهم السياق القرآني عبر البنى السياقية المختلفة، ومدى تأثر المتلقي بهذا السياق وتأويله له، فجاء هذا البحث بعنوان:

(السياق والمتلقي في اللسانيات الحديثة سورة المطففين أنموذجًا).

أهمية الموضوع وسبب اختيار السورة:

تم اختيار هذا الموضوع لأهمية السياق في توجيه الدلالة من ناحية، وثقافة المتلقي الواعي في الكشف عن المدلول من ناحية أخرى.

وتم اختيار هذه السورة تحديدًا لأمرين: **الأول**: أنه لم يتعرض أحد لها من قبل متبعًا هذا المنهج الحديث للسانيات. **الثاني**: أنها تعالج قضية خطيرة كانت منتشرة في

المجتمع العربي وقت نزولها، وخاصة في مكة والمدينة، فكان البحث عن السياق التاريخي (سبب النزول)، واللغوي، والثقافي، والمكاني، والمقاصدي تتضافر كلها لفهم سياق السورة الكريمة، واستنباط الدلالة المتعلقة بها، ومدى فهم المتلقي لهذا السياق وتأثره به.

ومن هذا المنطلق جاءت أهمية الموضوع في معالجته لعادات اجتماعية وثقافية يترتب عليها إصلاح المجتمع وعودته إلى الرقي والإنسانية.

منهج البحث:

اعتمد البحث (المنهج الوصفي التحليلي) لكونه أقرب إلى طبيعة الموضوع، وهو أبرز المناهج المتوجهة لدراسة النصوص التراثية.

مشكلة البحث:

المشكلة الأساسية في الفصل بين النص والسياق، فالسياق أعم من النص، وهو إطار عام ينتظم فيه النص بوحداته وعناصره، والسياق يتشكل من عدة عناصر أهمها المتلقي وما يحيط به من بيئة اجتماعية وما يحمله من ثقافة تؤهله لفهم مقصدية الخطاب وأغراضه، وتأثره بذلك.

أسئلة البحث:

انطلق البحث من سؤالين أساسيين؛ هما:

- هل تنبه المفسرون لأهمية السياق في تغيير مدلول اللفظة؟
- هل كان المتلقون يفهون السياق وأغراضه؟ وما موقفهم منه؟

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

١- فهم السياق القرآني لسورة "المطففين" عن طريق السياق اللغوي وما يحيط به من معطيات خارجية ومعالجته لظاهرة اجتماعية تفشت في المجتمع العربي في هذا الوقت.

٢- الخروج من النطاق الضيق الذي حصرته الدراسات اللسانيات لفهم السياق بشقيه اللغوي الداخلي، والمقامي الخارجي، وذلك لتفرد النص القرآني عن غيره.

٣- النظر إلى النص كوحدة متكاملة، وفهم كيف تساهم العلاقات بين أجزائه في إيصال المعنى المراد، متجاوزين التحليل السطحي لعناصر التماسك النصي.

خطة البحث:

قسمت هذه الدراسة إلى مبحثين:

المبحث الأول: الإطار النظري.

ويشتمل على تمهيد عن النظرية السياقية، وتعريف السياق، وأهميته، ثم التعرف على نظرية التلقي ودور المتلقي في فهم النص بما يحمله من معرفة ثقافية عرفانية. ثم الحديث عن الفرق بين السياق والنص وما بينهما من علائقية تفصل كل منهما عن الآخر، وتبع ذلك الحديث عن النص القرآني وتفرده عن بقية النصوص الأخرى، ثم عن السياق القرآني وأنواع السياقات التي يتخذها البحث في منهجيته العلمية.

المبحث الثاني: الإطار التطبيقي.

وشمل ذلك وصف عام للسورة ليتصور القارئ المعنى الإجمالي لها، ثم الحديث عن السياق التاريخي الخاص وهو سبب نزول هذه السورة، وما يمثله هذا السبب من أنساق اجتماعية وثقافية للمتلقين والذي يقودنا إلى الداعي لنزول هذه السورة.

ثم تبع ذلك الحديث عن السياق اللغوي وما يمثله من فهم للمفردات وتوظيفها داخل الآية، وفهم اللفظة هنا لا يعتمد على الجانب المعجمي بل يعتمد على السياق وما يرجحه من دلالة مخصوصة يفرضها السياق لتنسجم مع المعنى العام وتتوافق معه، يتبع ذلك السياق المكاني ويعني علاقة كل لفظة بما قبلها وما بعدها، وعلاقة الجمل والآيات بما قبلها وما بعدها أيضًا، علاوة على علاقة السورة نفسها بما قبلها وما بعدها من السور الأخرى، فالسورة ما هي إلا لبنة في البناء النصي للقرآن العظيم.

ثم تحدثت الباحثة عن سياق الموقف وأثره في فهم الدلالة النصية، أما السياق الثقافي فهو ما يحدد لنا أسباب الخطاب ودواعيه، وفهم المتلقي له وتقبله إياه، أما السياق المقاصدي فيعني فهم المقصدية من الخطاب وما يحمله من إيحاءات.

يلي ذلك الخاتمة ذُكرت فيها أهم ما توصلت إليه الدراسة من النتائج المهمة، يتبعها قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

الجانب النظري

تمهيد:

حظي السياق في الدراسات اللسانية الحديثة بالاهتمام الكبير من الدارسين، وإن اهتمت في الغالب بالسياق اللغوي، والتفسيرات التعليلية، والبنية السطحية، ولكنها عادت فاهتمت بالسياق المقامي وتأثيره في إنتاج الخطاب، فإن الاهتمام بالسياقات المختلفة التي يرد فيها الخطاب هو ما يحدد لنا الدلالة الحقيقية من ماورائية الخطاب.

ويعدُّ جون فيرث (John Firth ١٨٩٠-١٩٦٠م) هو مَن ذاعت على يديه "نظرية السياق" بما تحويه من أطر منهجية علمية، وقامت النظرية على تحليل النص عن طريق المعنى وفهمه عبر السياقات المختلفة المجاورة له، وبنيت هذه النظرية على إطارين: السياق اللغوي، وذلك بتحليل النص بالاستفادة مما يحويه من قرائن، والثاني: سياق الموقف، أو السياق المقامي(١).

ويرى (جون لايتز) أن النص يحمل في طياته القضية التي يتم التعبير عنها بالمنجز الكلامي، وهذه القضية تكون تحت الدراسة بما تحويه من قوة لا كلامية على حد تعبيره(٢)، وهذه القوة هي اتجاه للأحداث التي توجهها القضية المطروحة، فهي تجسيد للعالم الواقعي الفعلي والعالم المفترض أو الذي يؤصل له المنشئ للخطاب.

---

(١) تومي غنية: "**السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث**" مجلة المخبر، جامعة محمد خضير- الجزائر: العدد ٦، ٢٠١٠م. ص ١٩٥، ١٩٦.

(٢) لايتز، جون: **اللغة والمعنى والسياق**، ترجمة: عباس صادق، مراجعة: يوئيل عزيز، ط ١، العراق، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، ١٩٨٧م. ص ٢٢٣.

أما المتلقي فهو أحد العوامل الخارجية التي أشارت إليها النظرية السياقية وإن أهملته بشكل غير متعمد، فالعلامات الخارجية للنص هي ما تفيد في فهمه، ولا شك أن هذه العلامات تكون محل الفهم بين المنشئ والمتلقي وإلَّا ضاع النص وصار غير مفهوم كأنه موجه إلى من لا يعقل، أو عالم متخيل، واهتمت الدراسات اللسانية بهذا العامل الخارجي، وإن لم يكن اهتمامها بالمتلقي كبيرًا، وتبع ذلك المناهج النسقية المهتمة بالتوجه إلى النص ذاته وقراءته وفهمه فهو ما يحمل بداخله شفراته التي تفكك رموزه المعرفية، حتى ظهرت نظرية خاصة بالمتلقي وعرفت هذه النظرية بنظرية التلقي.

نشأت النظرية في أواخر ستينات القرن الماضي بألمانيا، وكان أشهر أعلامها "ياوس"، و"فو لفغانغ أيزر"، ونقلت هذه النظرية السلطة لفهم النص إلى آفاق إبداعية جديدة تتمثل في المتلقي المشارك في إنتاجية النص، فهو محور العملية الإبداعية التي تقوم على المبدع أولًا (المرسل) و(الرسالة) السياق الذي يحمل عدة قضايا مطروحة ظاهرة أو خفية، و(المتلقي) الذي يعي هذه القضايا ويحاول تفكيكها وقراءتها أكثر من مرة بنظرات معرفية متغيرة.

ومن هنا نفهم أن السياق موجه أساسًا لأناس يفهمون هذا الخطاب، وبين المنشئ والمخاطب توجد إشارات ورموز تواصلية واضحة، والسياق اللغوي يحتوي على "أحداث لغوية تعين على نحو مطرد مناسبة العبارات المتواطئ عليها، وجزء من مثل هذه السياقات قد يكون على سبيل المثال أفعال كلام المشاركين وتكوينهم الداخلي (معرفتهم، واعتقاداتهم، وأغراضهم، ومقاصدهم)"[(١)].

(١) حماني، حسن: "**السياق اللغوي ولسانيات النص نحو مقاربة منهجية علائقية**"، المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية: مج ٥، ع ٢، ٢٠٢٠م. ص: ٤٥.

ومن هنا يسعى هذا البحث إلى دراسة العلاقة بين جانبين رئيسيين في سورة المطففين: الأول هو المحتوى النصي للسورة بما يتضمنه من أبعاد معرفية وفكرية، والثاني هو فهم المتلقي لهذا النص القرآني. ويرتكز هذا الربط على حقيقة أن خطاب السورة يتناسق مع عناصر عدة: المعاني اللغوية داخل النص، والسياقات المحيطة به، والظروف المقامية، والمعتقدات السائدة، والأفكار المجتمعية، والبيئة المحيطة – وهي كلها عناصر مألوفة للمتلقي ويستطيع فهمها بشكل طبيعي.

تعريف السياق:

السياق لغة: دارت جذر المادة اللغوية (س و ق) حول عدة معان في المعاجم القديمة، منها الدفع والتتابع، ففي "اللسان": "ساقَ الإِبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقًا وسِياقًا... وَقَدِ انْساقَت وتَساوَقَت الإِبلُ تَساوُقًا إِذَا تَتَابَعَتْ... والمُساوَقة: المُتابعة كَأَنَّ بعضَها يَسُوقُ بَعْضًا"(١).

ويقترب الزمخشري من معنى السياق حين يقرنه بالحديث وإن كنا نرى أنه يقصد به التتابع أيضًا، فيقول: "وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"(٢).

ومن هنا نرى أن السياق في اللغة يعني التتابع، وكان الزمخشري أكثر دقة في تحديد التتابع في الكلام ووصفه بالحسن، فهو يدل على التتابع والنظم الحسن والدلالة

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: **لسان العرب**، ج ١٠، ط ٣، بيروت– لبنان، دار صادر، ١٤١٤هـ، ص ١٦٦، مادة: (سوق).

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **أساس البلاغة**، ت: عيون السود، محمد باسل، ج ١، ط ١، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م. ص ٤٨٤، مادة: (س و ق).

على أسلوب المتكلم، وهو بهذا المعنى في جانب اللغة يقترب من المفهوم الاصطلاحي للسياق.

السياق اصطلاحًا: عرف علماء العرب القدامى السياق ولكنهم لم يعرفوه بهذا المصطلح، وإن عرفوه بمصطلحات متقاربة الدلالة، كالنظم، ومراعاة الحال والمقام، وتأثيرهما في فهم الدلالة ومقصدية الخطاب.

ويرى الدكتور أحمد مختار عمر أنه في العصر الحديث "عرفت مدرسة لندن بما سمي بالمنهج السياقي، ويصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي: وضعها في سياقات مختلفة"(١).

ويُعرف السياق بأنه: "بناء نصيٌّ كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه، أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة، ودائما ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي الضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بكاملها"(٢).

ويختلف النص القرآني عن النصوص الأخرى في كونه نصا إلهيا، ولكنه في صورة لغوية "فالقرآن الكريم نص لغوي مرتبط بسياق حالي، والمعنى الصحيح لا يفهم إلا في إطار التركيب وسياق الحال، وغرض المتكلم وقصده من الكلام"(٣).

---

(١) عمر، أحمد مختار: **علم الدلالة**، ط ٥، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨م. ص: ٦٨.

(٢) فتحي، إبراهيم: **معجم المصطلحات الأدبية**، د. ط، صفاقس-تونس، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، ١٩٨٦م، ص ٢٠١.

(٣) حبيب، أيمن: "**أثر السياق في فهم القراءات القرآنية دراسة تداولية**"، مجلة جامعة المدينة العالمية، ماليزيا: ع ٣٨، ٢٠٢١م. ص: ٤٠٢.

و"يفترض في السياق إعطاء دلالة دقيقة عن العلامة/الخبر/الإنتاج، ومن هنا جاء إطلاق السياق الموضعي على حالة شيء مرسل/متلقي"(١).

تعريف التلقي:

التلقي لغة: جاء الجذر اللغوي لمادة (ل ق ي) في المعاجم العربية للدلالة على عدة معاني منها الاستقبال، فعند الزمخشري: "تلقّاه: استقبله. ونهى عن تلقّي الركبان"(٢). أي استقبالهم خارج السوق والشراء منهم بثمن بخس.

وعند الرازي: "وَتَلَقَّاهُ، أَيْ: اسْتَقْبَلَهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥] أَيْ يَأْخُذُ بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ"(٣).

التلقي اصطلاحًا: لم يقدم لنا الباحثون تعريفًا جامعًا لمفهوم التلقي، وظهرت "نظرية التلقي" نتيجة البحوث الجديدة التي اهتمت بقراءة النص قراءة مختلفة، وعملت على تحديد العلاقة بين النص والمتلقي، فالمتلقي مشارك في إنتاجية النص مع المبدع بقراءته الواعية، ومن هنا نفهم أن هذه النظرية تنظر إلى المتلقي الواعي الذي يمتلك أدواتًا تؤهله لفك شفرات النص والولوج إليه.

---

(١) علوش، سعيد: **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ط ١، الدار البيضاء–المغرب، سوشبريس، ١٩٨٥م. ص: ١١٨.

(٢) **أساس البلاغة**، ج ٢، ص ١٧٨، مادة: (ل ق ي).

(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: **مختار الصحاح**، ت: يوسف الشيخ، ط ٥، بيروت – صيدا، المكتبة العصرية، ١٩٩٩م. ص: ٢٨٤، مادة: (ل ق ي).

ويرى بعض الباحثين أن "ياوس" قدم مفهوم التلقي بأنه "معنى مزدوج يشمل الاستقبال أو التملك، والتبادل معًا"(١).

وبرزت هذه النظرية لتثور على النظريات الأدبية المتوجهة لفهم النص من خلال العلامات أو الرموز الإيحائية، والتوجهات الخارجية للسياق لتحليل النص، وقامت باستبعاد القيود التي وضعتها المدارس الأدبية الأخرى، وهذا يعني "أن نظرية التلقي ثورة تصحيحية لانحراف الفكر النقدي الذي ابتعد بالنقد عن ذات القارئ نتيجة للمذاهب الفكرية كالرمزية والماركسية، وركزت هذه النظرية على قطبين هما: القارئ والنص"(٢).

فالقارئ (المتلقي) الواعي لا بدَّ وأن يتمتع بإدراك عقلي وثقافة فكرية ليستقبل النص ويفهم جمالياته، ولذا يختلف أنواع المتلقين للنص ما بين (متلقٍ متدبر) يحاول الوصول إلى كل معاني النص باستخدام جزئياته المفردة، وصوره التركيبية الكلية لفهم المقصدية كاملة من النص ويتأمل ما وراء النص ومخبوءاته، ويسهم في إنتاج المعنى، وهو بهذا متلق مشارك للمبدع في نصه، وهو ما تعتمد عليه هذه النظرية بالنسبة للطرف الثاني وهو المتلقي.

ومن خلال ذلك يتضح لنا الاختلاف في فهم وتفسير النص من شخص لآخر، ويعتمد ذلك على الخلفية الثقافية للقارئ أي: ما يمتلكه من معرفة وتعليم، وتجاربه

---

(١) حمودين، علي، وقاسم، المسعود: "**إشكالات نظرية التلقي: المصطلح، المفهوم، الإجراء**"، مجلة الأثر: العدد ٢٥، ٢٠١٦م. ص: ٣٠٦.

(٢) عبد الواحد، محمود عباس: **قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي– دراسة مقارنة**، ط ١، مدينة نصر– القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٦م. ص: ١٧.

الشخصية وأفكاره، وقدرته على التحليل والفهم. ومستويات التفاعل مع النص تتنوع بين:

١- التقبل المباشر: حيث يتأثر القارئ بأفكار الكاتب ويقبلها كما هي.
٢- التحليل السطحي: دراسة الشكل الظاهري للنص.
٣- التحليل العميق: البحث عن المعاني الخفية وربط شكل النص بمضمونه.
٤- التفسير المتقدم: حيث يفهم القارئ النص من منظور جديد بناءً على خلفيته الثقافية.

وكلما زادت القواسم المشتركة الثقافية بين الكاتب والقارئ، زادت القدرة على فهم النص وتفسيره بشكل أعمق وأدق.

السياق والنص والعلائقية:

يرتبط السياق بالنص ارتباطًا علائقيا بحيث يمكننا القول بأن السياق هو الإطار الكلي الذي يشتمل على الصور المفردة بداخله ومنها النص، فالسياق "إطار عامّ تنتظم فيه عناصر النّصّ ووحداته اللّغويّة، ومقياس تتّصل بوَساطَتِه الجُمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداوليّة ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النّصّ للقارئ"(١).

فعن طريق السياق يمكننا فهم العبارة، أو اللفظة المفردة التي تتغير معناها بتغير السياق، كما يمكننا تحديد مفهوم الجملة ودلالتها عبر فهمنا الدقيق للسياق بأنواعه المتعددة.

(١) بودرع، عبد الرحمن: "**أثر السياق في فهم النص القرآني**"، مجلة الإحياء، العدد ٢٥، ٢٠٠٧م. ص ٧٣.

والسياق بمفهومه لم تحدد بنيته على الوجه الدقيق من الباحثين، ولكن أغلب البحوث تحصر أقسامه في سياقين: النصي، والخارجي، فالسياق النصي يبحث في داخل النص من ألفاظ وعبارات يحاول المتلقي فهمها وتأويلها للوصول إلى مراد المنشئ للنص، أما السياق الثاني الخارجي فهو السياق المقامي الذي قيل فيه النص، وقد لقي اهتمامًا بالغًا من علمائنا القدامى الذين عرفوه تحت مصطلحي (المقام والمقال).

ويرى محمد خطابي "أن (براون ويول ١٩٨٣) يذهب إلى أن بنية السياق تتشكل من المتكلم، والكاتب، والمستمع أو القارئ (المتلقي)، والزمان، والمكان. أما (هايمس ١٩٦٤)، فيرى أن للسياق دورًا مزدوجًا؛ ويرى أن بنيته تتشكل من الأشياء السابقة عند (براون)، مضيفًا إليها الغرض، والمفتاح ويتضمن التقويم، وشكل الرسالة، هل هي وعظية، أو جدلية، أو خرافة، أو غير ذلك"[(١)].

النص القرآني وتفرده:

نزل النص القرآني بلسان العرب ولغتهم، وخاطبهم بما يعرفون من هذه اللغة ولا ينكرونها، فهو نص لغوي من جنس لسانهم، لكنه ذات دلالات خاصة ومنهج بلاغي غاية في الرفعة والسمو مما جعلهم وهم أبناء اللغة وجهابذة الفصاحة يسلمون ببلاغته وعلو لغته على لغة البشر، وكانت العقبة التي واجهت المفسرين هي فهم الدلالة المقصودة من هذا النص باعتباره تشريعًا سماويًا غير قابل للتحريف، وهو في نفس الوقت متعدد التأويل، والمنهج الغالب عند المفسرين أنهم فهموا أثر السياق وأهميته في فهم الدلالة، ولكن منهجهم لم يكن شاملًا لكل البنيات السياقية، وإنما

(١) خطابي، محمد: **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، ط ١، بيروت- لبنان، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م. ص: ٥٢، ٥٣.

تضمن بعضها بالتعرض إلى أسباب النزول، بما يمثله من جانب تاريخي ومقامي، وبعضهم تعرض للسياق اللغوي وما يمثله من دلالات وإشارات تعين على فهم المعنى.

والحق أن علماء المسلمين الأوائل برعوا في فهم السياق وأثره في تحديد الدلالة، كما برعوا أيضًا في مناسبته للمتلقي، واشتهر عن علماء البلاغة (أن لكل مقام مقال)، أما أحبار التفسير فكثير منهم "أخذ بالمنهج السياقي في التفسير كابن جرير الطبري، وفخر الدين الرازي، والزمخشري ف (تفسير الكشاف)، ومن المحدثين محمد الطاهر بن عاشور في (تفسير التحرير والتنوير)، فقد كان السياق أحد الأدوات المعرفية التي استعانوا بها في فهم النص القرآني وتفسيره"(١).

فمراعاة السياق وأثره في فهم الدلالة كان منهج هؤلاء المفسرين وغيرهم ممن تنبهوا لقسمي السياق؛ النصي، والخارجي، قبل ظهور (فيرث) ومدرسته التي ضمت هاليدي، ورقية حسن، وسينكلر، وليونز، وغيرهم، ويرى هؤلاء: أن "معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"(٢).

ويفهم من هذا أن الألفاظ يتغير معانيها تبعًا لتغير السياق، وهذا ما تنبه له المفسرون حين فسروا القرآن بالقرآن، كما يوجهنا إلى أننا حين نفسر نصا لا بد من مراعات السياقات المتعددة، وهذا أيضًا عرفه المفسرون، غير أنهم حصروه في أسباب النزول، ويبقى للغرب أنهم أصلوا لـــ"نظرية السياق" التي لم تكن جديدة على الفكر

---

(١) بوستة، محمود: "**الاتساق والانسجام في سورة الكهف**"، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م. ص: ١٥٥.

(٢) **علم الدلالة**، ص: ٦٨، ٦٩.

العربي، ولكنهم صاغوها في شكل جديد وأصلوها كنظرية علمية لها معايير وأطر محددة، إضافة إلى أنهم طبقوها على العديد من النصوص، وقد استفاد اللغويون العرب من هذه النظرية وعادوا إلى التراث بقراءة جديدة مستفيدين من هذه النظريات الحديثة، وهذه القراءات هي مساعدة في إنتاجية النص وهي إحدى أسس نظرية التلقي أيضًا.

"وقد اقترح (K. Ammer) تقسيمًا للسياق ذا أربع شعب:

١- السياق اللغوي.

٢- السياق العاطفي.

٣- سياق الموقف.

٤- السياق الثقافي"[١].

كما أضاف غيره من الدارسين سياقات أخرى، ويمكننا من خلال هذه الآراء تحديد السياق القرآني المقترح لتحليل سورة المطففين.

السياق القرآني:

تشكل السورة القرآنية سياقًا متكاملًا يمثل وحدة عضوية وثيقة الصلة بما قبلها وما بعدها، فهي على الرغم من وحدتها إلا أنها جزء كبير من نص متلاحم لا تنفصل أجزاؤه، كما أن الآية تمثل هذه الوحدة بصورة مصغرة، فالآية لها سياق مكتمل يشكل لبنة في البناء النصي للمقطع، والمقطع يمثل لبنة كبرى في البناء النصي للسورة، والسورة بدورها لبنة كبيرة في البناء النصي لهذا الكتاب العظيم.

---

(١) **علم الدلالة**، ص: ٦٩.

إذًا فالسياق القرآني يبدأ من الآية بوصفها وحدة بنائية متكاملة، تنسجم مع المقطع الذي هو وحدة بنائية أكبر، وينسجم المقطع مع السورة التي تنسجم مع السور التي قبلها والتي بعدها.

ويشتمل السياق القرآني على عدة سياقات تتضافر لفهم الدلالة من النص القرآني، وهذه السياقات يمكننا إجمالها في:

١- **السياق التاريخي:** بمعنييه العامّ والخاصّ؛ فالعامّ هو سياق الأحداث التّاريخيّة القديمة التي حكاها القرآن الكريم والمعاصرة لزمن التّنزيل، والخاص هو أسباب النّزول.

٢- **السياق اللغوي:** وهو دِراسةُ النصّ القرآنيّ من خلال علاقاتِ ألفاظِه بعضها ببعض والأدواتِ المستعملة للرّبط بين هذه الألفاظ، وما يترتّب على تلك العلائق من دلالات جزئية وكلّية"[١].

٣- **سياق الموقف:** ويعني الموقف الخارجي الذي تقع فيه الكلمة[٢].

٤- **السياق الثقافي:** ويعني تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة[٣].

٥- **السياق المكاني:** "ويعني سياق الآية، أو الآيات داخل السّورة وموقعها بين السّابق من الآيات واللاحق، أي مراعاة سياق الآية في موقعها بين السّابق من الآيات واللاّحق، أي مراعاة سياق الآية في موقعها من السّورة، وسياق الجملة

---

(١) **أثر السياق في فهم النص القرآني**، ص: ٧٤.

(٢) **علم الدلالة**، ص: ٧١.

(٣) **علم الدلالة**، ص: ٧١.

في موقعها من الآية، فيجب أن تُربَط الآية بالسّياق الذي وردت فيه، ولا تُقطَع عمّا قبلها وما بعدها"[١].

٦- "**السياق المقاصدي:** ويعني فهم الجملة بما تحمله من الباعث في القول، أو النية، أو المقصد في القول"[٢].

(١) **أثر السياق في فهم النص القرآني**، ص: ٧٤.

(٢) خضيّر، علي حميد: "**دلالة السياق في النص القرآني**"، رسالة ماجستير، كلية الآداب والتربية، الأكاديمية العربية- الدنمارك، ٢٠١٤م. ص: ٤٩.

المبحث الثاني

الجانب التطبيقي

التحليل السياقي لسورة المطففين:

وصف عام للسورة:

عدد آيات هذه السورة هو ست وثلاثون آية، تتوعد السورة المطففين للكيل والميزان، وقد فسَّرت هذا التطفيف بأنهم إذا اشتروا من الناس استوفوا منهم حقهم كاملًا، وإذا باعوهم بضاعة فيها كيلًا نقصوا في هذا الكيل، ولذا جاء الوعيد لهؤلاء ولمن يفعل فعلهم، والزجر لهم بالآخرة، وتذكيرهم بيوم القيامة، وهذا اليوم ينقسم فيه الناس إلى فريقين لا ثالث لهما، فريق الفجار، وبدأ بهم لشدة الزجر لهم، وهؤلاء تكتب أعمالهم وتُعلَّم بعلامة وتوضع في كتاب في الأرض السفلى، انتظارًا ليوم البعث والنشور، ثم توعد الله عز وجل مَن يكذب بهذا اليوم وهذا البعث، ومَن يكذبون القرآن ويرمونه بالأساطير؛ بأنهم يحجبون عن ربهم يوم القيامة، ويكون جزاؤهم النار يصلونها وبئس المصير.

أما الفريق الثاني فهم فريق المؤمنين الأبرار الذين تكتب أعمالهم في كتاب مختوم موضوع في أعلى عليين، وهؤلاء ينعمون بكل أنواع النعيم، حتى يرى هذا النعيم في وجوههم وينطبع على ظاهرهم بعدما تأصَّل في باطنهم، فهم على أسرتهم منعَّمون يشربون من الرحيق المختوم بالمسك، الممزوج بماء التسنيم وهي عين في الجنة يشربون منها، وهم في تنعمهم ينظرون إلى مصير الفجار ومآلهم وما هم فيه من عذاب؛ لأنهم كانوا يسخرون منهم في الدنيا، وإذا مروا بهم يتغامزون عليهم ويلمزونهم، وينسبونهم إلى الضلال، ويرجعون إلى أهلهم فرحين بما فعلوه بالمؤمنين من الغمز والتهكم عليهم.

والمقارنة تأتي في اليوم الآخر بين حال المؤمنين وهم في هذا النعيم ينظرون إلى الفجار في حال عذابهم، ففي هذا اليوم يضحك المؤمنون من الكفار على ما آلوا إليه من مصير السوء، وجهلهم بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين، وجزاء تكذيبهم باليوم الآخر، ليتأكد المؤمنون أن الكفار عوقبوا بما فعلوا في الدنيا من سخرية واستكبار وعناد وإنكار.

١- السياق التاريخي:

تعود أهمية هذا السياق إلى " تمثيله لغة خاصة اهتمت بعناصر ثقافية معينة، ومن أجل فهم النص القرآني لا بد للعودة إلى الزمن الذي نزل فيه النص، والإلمام الكامل بالأنساق الثقافية والاجتماعية، والأسباب والدوافع وراء هذا النص"[(١)]. ونتعرض لهذا السياق من خلال سبب نزول هذه السورة، ويمثل الدافع وراء هذا التشريع، والنسق الثقافي والاجتماعي للمتلقين الذين وجِّه لهم النص التشريعي.

اختلف المفسرون في مكان نزول هذه السورة:

"فعن ابن مسعود والضحاك ومقاتل في رواية عنه: أنها مكية"[(٢)]، أي أنها نزلت بمكة. ويؤيد هذا التفسير ذكر الأساطير فيها فهو من قول كفار قريش للتلبيس به على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وعلى القرآن[(٣)].

---

(١) **دلالة السياق في النص القرآني**، ص: ٤٩.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر: **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ص ١٨٧.

(٣) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت: عبد السلام عبد الشافي، ج ٥، ط ١، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ص

ويروى عن ابن عباس أن بعضها نزل بمكة، وبعضها بالمدينة وهو الخاص بالتطفيف(١).

وعن عكرمة، والسدي، وابن عباس في الرواية الصحيحة عنه أنها نزلت بالمدينة(٢). وترى الباحثة أن مكان نزولها بعد الهجرة، فهي مدنية على أصح الأقوال في الفرق بين القرآن المدني والمكي، فالمدني هو ما نزل بعد الهجرة، ويمكننا القول بأنها نزلت قبل دخول النبي –صلى الله عليه وسلم– المدينة ليطهرهم من هذا الفعل، وهو تشريع من الله تعالى والتشريع خاص بالمدينة على الأرجح.

على أن حاصل الخلاف في مكان النزول ليس كبيرًا بالنظر إلى مقاصد السورة وما نهت عنه من التطفيف في الميزان، فقد روي أن أهل مكة والمدينة كانوا يطففون الميزان، وبهذا يكون زجرًا لأهل المدينتين، وإن كان أكثر الروايات على أهل المدينة.

وهذا السياق يدلنا على النسق الثقافي والاجتماعي في تعامل الناس قبل أمر القرآن لهم بالعدل في البيع والشراء، فكانوا يظلمون ويطففون، فإذا اشتروا زادوا في الكيل لأنفسهم، وإذا باعوا لأحد نقصوا هذا الكيل له، والتطفيف هنا شيء يسير لا قيمة له إلا أن فيه ظلم للآخر فنهاهم القرآن عن ذلك وامتثلوا لأمره.

٢– السياق اللغوي:

وهذا السياق يتطلب منا فهم ودراسة اللفظة المفردة "داخل نظام الجملة، وعلاقتها بما قبلها أو بعدها؛ لأن اللفظ في الجملة له استعمالات كثيرة تتعلق بوضع

(١) **المحرر الوجيز**، ج ٥، ص ٤٤٩.

(٢) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي: **أسباب نزول القرآن**، ت: عصام الحميدان، ط ٢، الدمام، دار الإصلاح، ١٩٩٢م، ص: ٤٥٢.

المفردة وفهمها من كافة الجوانب لغة ودلالة"[١].

ومن هنا سنجد أن هناك مفردات استعملت بمعاني مختلفة ولا يحدد معناها إلا السياق الذي قيلت فيه، ونقصد به السياق النصي والمقامي، إذ الاعتماد على السياق اللغوي وحده لا يفسر الكلمة تفسيرًا دقيقًا، وهنا يأتي دور المتلقي في فهم الأساليب الاستعمالية واكتشاف المعنى.

﴿وَيْلٌ﴾ هذا اللفظ استعملته العرب خبرًا، ودعاء، وتعجبًا، وزجرًا، والسياق هو ما يحدد هذا الاستعمال، ويرى علماء العربية أنه مصدر أهمل فعله فلم يستعمل، كأنهم يريدون أنه من المتبقي من اللغة القديمة الموروثة التي أهمل استعمالها، وهو مركب من "وي" بمعنى الحزن، ومن مجرور باللام المكسورة فلما كثر استعمال اللام مع "وي" صيروهما حرفًا واحدًا فاختاروا فتح اللام كما قالوا: يالَ ضبة، ففتحوا اللام وهي في الأصل مكسورة، وهذا الرأي منسوب للفراء[٢].

وهذا يبيِّن لنا التطور التاريخي والصوتي للغة الذي يميل للخفة والسهولة، والسياق هنا يحدد أنها للزجر لا للدعاء، وهذا ما قرره سيبويه حين قال إنها لا تصلح للدعاء في هذا الموضع؛ لأن الكلام يكون متناقضًا، والقرآن إنما خاطبهم بلغتهم وما يعرفونه منها، فكأنه يشير إلى أن المتلقين يفهمون مقصدية المخاطِب، فالخطاب هنا داخل في الهلكة والشر لمن يصنع هذا الصنيع[٣].

---

(١) **دلالة السياق في النص القرآني**، ص: ٤١.

(٢) **التحرير والتنوير**، ج ١، ص ٥٧٦.

(٣) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ج ١، ط ٣، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م. ص ٣٣١.

فهذا اللفظ "ويل" قد مرَّ بمراحل دعت إلى تركيبه من "وي" واللام المجرورة، ثم تغيير حركة اللام فيه للخفة والسهولة في التلفظ، ويستخدم "ويل" بمعاني كثيرة عند العرب، ولا يحدد ذلك إلا السياق، ويكون هذا السياق موافقًا للمفهوم عند المتلقي.

﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ اختلف المفسرون في اشتقاق لفظ التطفيف ومعناه:

فقيل: "إنَّ طَفَّ الشَّيْءِ هُوَ جَانِبُهُ وَحَرْفُهُ، يُقَالُ: طَفَّ الْوَادِي وَالْإِنَاءُ، إِذَا بَلَغَ الشَّيْءُ الَّذِي فِيهِ حَرْفَهُ وَلَمْ يَمْتَلِئْ فَهُوَ طِفَافُهُ وَطَفَافُهُ وَطَفَفُهُ، وَيُقَالُ: هَذَا طَفُّ الْمِكْيَالِ وَطَفَافُهُ، إِذَا قَارَبَ مَلْأَهُ لكنه بعد لم يمتلئ"(١).

وقيل: هو مَصْدَرُ طَفَّفَ إِذْ بَلَغَ الطُّفَافَ، و لم يعرف له فعلًا مجردًا وإنما نقل إلينا بصيغة التفعيل، وصيغة التفعيل تدل على التكلف ووجود طرفين لفعل الشيء(٢).

وعلى هذا يمكننا فهم المعنى المستفاد من ذلك كأننا نراه، وهو أن المطفِّف يجتهد لعدم ملء المكيال لمن يبيع له فينقصه شيئًا يسيرًا، ويتكلف ألا يلحظ المشتري منه ذلك بحركات يفعلها ليميل بالشيء المكيل إلى حرف المكيال ليراه المشتري ممتلئًا فيرضى بالشراء، ولا يعلم الخدعة.

﴿اكْتَالُوا عَلَى﴾ اكتالوا بوزن افتعلوا، وجاء هذا التركيب مخالفًا للمعهود من الخطاب التركيبي القواعدي، فالوجه في غير القرآن أن يقال: اكتالوا من الناس، ويعلل الفراء ذلك بأن (من، وعلى) يتعاقبان في هذا الموضع، "فإذا قال: اكتلتُ عليك، فكأنه

(١) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي: **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ط ٣، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، ص ٨٢.

(٢) **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ١٧٨.

قال: أخذتُ ما عليك، وإذا قال: اكتلت منك، فهو كقولك: استوفيت منك"[١].

و(على) هنا أفادت زيادة في المعنى هي التحامل على الغير وظلمه في الشراء، وهي زيادة لا تفيدها (من) إذا وضعت في مكانها، مما يؤيد أن ألفاظ القرآن منتقاة بعناية ربانية، والمتلقين من العرب يعلمون هذا المعنى ويعون مقصديته وما وراءه.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ جاء هذا التركيب على لغة أهل الحجاز ومَن جاورهم، أما بقية العرب فإنهم يقولون: كالوا لهم، ووزنوا لهم، ويؤكد ذلك الفراء حين يسوق شاهدًا من كلام العرب، فيقول: "وسمعت أعرابية تَقُولُ: إِذَا صَدَرَ النَّاس أتينا التاجر، فيكيلنا الْمُدَّ والمُدَّين إلى الموسم المقبل، فهذا شاهد، وهو من كلام أهل الحجاز، ومَن جاورهم من قيس"[٢].

وقد آثرنا الشاهد النثري لأنه يدل على سعة الكلام، ووجود ذلك في لسانهم، أما الشاهد الشعري فيمكن أن يكون من الضرائر، وعلى هذه اللغة قرأ الجمهور، وهناك قراءة أخرى هي قراءة عيسى بن عمر، ورواية عن حمزة أنهما يقفان على "كالوا" ثم يكملون "هم"، ويقفان على "وزنوا" مثلها[٣].

ولكن هذه القراءة مردودة بخط المصحف إذ لم يثبتوا ألفًا بعد الفعلين[٤]، كما

---

(١) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي: **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد النجاتي وآخرون، ج ٣، ط ١، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت. ص ٢٤٦.

(٢) **معاني القرآن**، ج ٣، ص ٢٤٦.

(٣) **المحرر الوجيز**، ج ٥، ص ٤٥٠.

(٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج ٤، ط ٣، بيروت- لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ه، ص ٧٢٠.

أنكر الفراء والزجاج ذلك[١].

إذًا فالقراءة المشهورة جاءت بلسان أهل الحجاز وقبائل من قيس يعرفون هذه اللغة، و لم ينكرها بقية العرب، وفهموا المقصد منها.

﴿يُخْسِرُونَ﴾ أصل الفعل "خسر" لكنه تعدى هنا بالهمزة فصار من الفعل "أخسر"، والدلالة واحدة كما قال الزجاج[٢]، وإن كنا نرى أن التعدي فيه زيادة، إلا أن هذه اللفظة نزلت بلغة قريش أيضًا، فيخسرون بمعنى ينقصون[٣].

﴿سِجِّينٍ﴾ اختلف المفسرون واللغويون في كونه اسم أو صفة على ثلاثة آراء، ويترتب على هذا الخلاف خلاف في المعنى. **الرأي الأول**: أنها "اسم علم منقول من وصف كحاتم، وهو منصرف لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف"[٤]. أما **الرأي الثاني**: أنها اسم مشتق فهي "فِعِّيل من السجْنِ، المعنى كتابهم في حبس، جعل ذلك دَلالة على خساسة مَنْزِلَتِهِمْ"[٥].

والرأي الثالث، أنها صفة من صفات الصخرة التي كتب فيها كتاب الفجار، هو رأي الفراء يقول: "إنه صفة من صفاتها؛ لأنه لو كان لها اسما لم يجر"[٦].

---

(١) **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ص ٨٣.

(٢) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل: **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ج ٥، ط ١، بيروت- لبنان، عالم الكتب، ١٩٨٨م، ص ٢٩٧.

(٣) **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ص ٨٣.

(٤) **الكشاف**، ج ٤، ص ٧٢١.

(٥) **معاني القرآن وإعرابه**، ج ٥، ص ٢٩٨.

(٦) **معاني القرآن**، ج ٣، ص ٢٤٦.

والسياق لا يمنع أيًّا من هذه الآراء، فالسجين اسم علم منقول للدلالة على شيء معين لم تكن العرب تعرفه قبل ذلك، وفسِّر بأنه الأرض السابعة السفلى، وكونه اسم مشتق فهو يدل على الحبس في الأرض السفلى، ويوحي بالذلة والمهانة، أما كونه صفة ففسر على أن معنى "سجين" صخرة تحت الأرض السابعة السفلى، وهذا كله لا يتعارض وإنما يؤدي إلى دلالة واحدة وهي المهانة والتحقير لهؤلاء الفجار.

﴿مَرْقُومٌ﴾ على وزن مفعول، وأكثر المفسرين أن معناه مكتوب، أو مختوم أي معلَّم[١]، والمفسرون على أن هذا الكتاب مكتوب ومعلَّم بعلامة ليعلم أن هذا كتاب الفجار، وهذا كتاب الأبرار، وكل علامة تدل على كتاب صاحبها. فهذه الكتب كتبت بطريقة معينة، وتحفظ هذه الكتب أو (الملفات) في أماكن مخصصة بعد أن يوضع عليها علامة لتدل على أن صاحبها من الفجار أو الأبرار، كما تدل يقينًا على اسم صاحبها.

وتأويل المفسرين يدل على أن (مرقوم) إما أنه كتاب معلَّم مكتوب فيه الأعمال، أو كتاب موضوع في مكان معين، إما في سجين، أو عليين[٢].

﴿رَانَ﴾ اختلف اللغويون والمفسرون في معنى هذه اللفظة، فالمعاجم تدور حول معنى تغطية الشيء وغشيانه، ففي "المحكم": "الرَّيْنُ الصَّدَأُ الَّذِي يَعْلُو السَّيْفَ والمِرْآةَ ورانَ الثَّوْبُ رَيْنًا تَطَبَّعَ ورانَ الذَّنْبُ عَلَى قَلْبِه رَيْنًا ورُيُونًا غَطّاهُ شَرْعِيَّة... ورِينَ عَلَى قَلْبِه غُطِّيَ وكُلُّ ما غَطَّى شَيْئًا فقَدْ رانَ عَلَيه ورانَتْ عَلَيْه الخَمْرُ غَلَبَتْه وغَشِيَتْه وكَذلك

(١) **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ص ٨٧.

(٢) **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ص ٩١.

النُّعاسُ والهَمُّ وهو مَثَلٌ بذلِكَ"[١].

وعند اللغويين تدور أيضًا حول هذا المعنى:

"قال أبو عبيدة: ران على قلوبهم غلب عليها. وقال الليث: ران النعاس والخمر في الرأس إذا رسخ فيه. وقال أبو زيد: يقال: رين بالرجل يران به رينا إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه. وقال الزجاج: ران على قلوبهم بمعنى غطى على قلوبهم"[٢].

والسياق لا يمنع هذه المعاني مجتمعة، فالذنوب وكثرتها عند هؤلاء الفجار، واعتيادهم لها، غطت نور الحق في قلوبهم، وغشت على القلوب ورسخت فيها حتى ظنوا أن ما هم عليه هو الحق، وأن ما عداه باطل، وارتبطت هذه اللفظة بما بعدها أن تكون نتيجة لكسبهم.

﴿عِلِّيِّينَ﴾ اختلف اللغويون والمفسرون في هذا اللفظ، فابن جني يرى أنه جمع (عِلِّي) بوزن (فِعِّيل)، من العلو، وأنه لفظ واحد ليس له جمع، أو جمع ليس له مفرد مستعمل[٣].

ويرى الفراء أنه جمع لا واحد له "فالعرب إِذَا جمعت جمعًا لا يذهبون فِيهِ إلى أن لَهُ بناءً من واحد واثنين، فقالوه فِي المؤنث، والمذكر بالنون"[٤].

---

(١) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج ١٠، ط ١، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٣.

(٢) **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ص ٨٨.

(٣) ابن جني، أبو الفتح عثمان: **سر صناعة الإعراب**، ج ٢، ط ١، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، ص ٢٧٠.

(٤) **معاني القرآن**، ج ٣، ص ٢٤٧.

أما المفسرون فيختلفون في تحديد المكان مع اتفاقهم أن اللفظ يعني العلو في المكانة والارتفاع في المكان، فهو في أعلى الأماكن، أو فوق السماء السابعة، أو هو قائمة العرش، أو مراتب عالية، وكلها تؤدي نفس الدلالة للمتلقي.

﴿الْأَرَائِكِ﴾: "جمع أريكة بوزن سفينة، والأريكة: اسم لمجموع سرير ووسادته وحجلة منصوبة عليهما، فلا يقال: أريكة إلا لمجموع هذه الثلاثة"(١).

وهذه اللفظة مناسبة في السياق إذ تدل على الترف والنعيم الذي يحيا فيه الأبرار، والعرب لم تكن تعرف هذا الترف بهذه الصورة، ولذا نجد الاختلاف بين العلماء في كون اللفظة عربية أم منقولة إلى العربية، فالسيوطي ينقل عن ابن الجوزي أنها السرر بالحبشية(٢)، وينقل الزركشي وبعض المفسرين قول الحسن: كنا لا ندري –أي لا نعلم معنى– ما الأرائك، حتى التقينا برجل من اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم: الحجلة فيها السرير(٣).

والأرجح أنها كلمة عربية؛ لأن العرب لم ينكروها أو ينقل عنهم أنهم سألوا عن معناها كما سألوا عن معنى ألفاظ أخرى وردت في القرآن الكريم، وهي ترغب في الآخرة والنعيم المقيم عند الله، وتحث على ترك التطفيف المؤدي للهلاك والمصير إلى مآل الفجار.

---

(١) **التحرير والتنوير**، ج ٢٠، ص ٢٠٤.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، ج ٢، ط ٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ص ١٢٩.

(٣) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، ج ٢، ط ١، مصر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٩٧٥م، ص ١٠٦.

﴿رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ الرحيق عند أهل اللغة هو الخمر، وهو قول الليث، أو هو نوع من الخمر لا غش فيه ولا شيء يفسده، وهو قول أبي عبيدة والزجاج[١].

والفرق بين القولين بأنها خمرًا، أو نوعًا من الخمر، يفيد أن القول الثاني يرى أن هناك أنواعًا أخرى من الخمر أعدت لأهل النعيم.

أما المختوم فهو اسم مفعول من ختمه، ويدور تفسيره حول ختم أي تغطية رؤوس القوارير بالطين في الدنيا، وبالمسك في الآخرة، أو أنه علامة من الختم كما كان الملوك والأمراء يجعلون لأنفسهم خاتما على كتبهم، والسياق يحتمل المعنيين أن هذه القوارير التي يشربون منها الرحيق مغطاة بغطاء من المسك لا ينتزع، ومعلمة لكي يشرب منها الأبرار وحدهم.

﴿تَسْنِيمٍ﴾ أصل وضع اللفظة أنها تدل على العلو والارتفاع، ومنه سنام البعير، وَتَسَنَّمْتُ الحائط إذا علوته[٢]، واختلف المفسرون في أصلها فقيل هي اسم مأخوذ من المصدر سَنَّمَهُ إِذَا رَفَعَهُ، إما لأنها أرفع شراب في الجنة، وإما لأنها تأتيهم من فوق، وإما لأنها لأجل كثرة ملئها وسرعته تعلو على كل شيء تمر به وهو تسنيمه، أو لأنه عند الجري يرى فيه ارتفاع وانخفاض، فهو التسنيم أيضًا[٣]، وهذا ما يؤيده السياق بأنهم يشربون شرابًا رفيعًا متفردًا لا يعرفه أهل الدنيا، ويسقون هذا الشراب في مكان مرتفع على الأسرة. ويرى الواحدي أنه اسم معرفة لا يعرف له اشتقاق، ومثل لذلك بالتنعيم

(١) **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ص ٩١.

(٢) **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ص ٩٣.

(٣) **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ص ٩٣.

وهو موضع بمكة[١].

٣- السياق المكاني:

يحدد السياق المكاني علاقة الكلمة المفردة بما قبلها في الآية، وعلاقة الآية بالسورة، وعلاقة السورة بما قبلها، وما بعدها "وقد اهتمت الدراسات القرآنية بهذا المعنى لإيضاح المفاهيم التي تكمن وراء الآيات القرآنية، أو السور بشكل عام للوصول إلى المعنى"[٢].

ولأجل فهم المعنى للسورة نوضح علاقتها بالسورة التي قبلها وهي سورة (الانفطار)، اتصلت هذه السورة بما قبلها (سورة الانفطار) في نسيج متلاحم من السياق القرآني، فالسورة ما هي إلا لبنة في البناء النصي للقرآن كله، وقد انتهت سورة "الانفطار" بذكر يوم القيامة، ووصفت هذا اليوم بأنه لا تملك فيه نفس لنفس شيئًا، والأمر جميعه لله وحده، وهذا فيه زجر للناس جميعًا، وللعصاة على وجه الخصوص، وبدأت سورة "المطففين" بالزجر عن التطفيف والوعيد للمطففين[٣].

ولكي نفهم العلاقات داخل السورة نلجأ إلى تقسيمها إلى مقاطع لنفهم العلاقة بين هذه المقاطع وتلاحمها:

---

(١) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي: **التفسير البسيط**، ج ٢٣، ط ١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ١٤٣٠ه، ص ٣٤٣.

(٢) **دلالة السياق في النص القرآني**، ص: ٤٨.

(٣) **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ص ٨٢.

المقطع الأول: (١-٣):

بعد انتهاء السورة السابقة لها بالتذكير بيوم القيامة، وأن الإنسان لن ينفعه أحد من الناس، تبدأ السورة بالإخبار بالهلاك والخسران للتجار الذين يتعاملون بالتطفيف في الميزان والمكيال، وحددت السورة صفة هؤلاء بأنهم إذا اشتروا من الناس استوفوا حقهم منهم، وإذا باعوا الناس نقصوهم حقهم، والآيتان الثانية والثالثة هي تفسير للفظة (المطففين) في الآية الأولى.

المقطع الثاني: (٤-٦):

يتصل هذا المقطع بما قبله بالانتقال إلى الزجر لهم، والتهديد والوعيد لهم بيوم البعث والنشور، فكأن العلاقة بينه وبين المقطع السابق علاقة تلازم، لأن الخطاب إما موجه للمؤمنين الذين يقرون بالبعث؛ فخاطبهم بالعلم الذي يعرفونه وهو أنهم يجازون على أعمالهم في الدنيا، وهذا ما يفسر به "الظن" في الآية ﴿**أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ**﴾ [المطففين: ٤]، أو أن الخطاب لهم ولغيرهم من المنكرين فيكون الظن في حقهم على ظاهره ويكون المعنى للتعجب من فعلهم، فهم لا يظنون أنهم يبعثون ويقومون بين يدي رب العالمين، وفيه زجر لغيرهم أيضًا.

والأرجح أن الخطاب للفريقين للمؤمنين والمكذبين، فالفريق الأول خوطبوا بما يردعهم من علمهم بالبعث والنشور ولقاء ربهم، والثاني خوطبوا على سبيل التعجب من فعلهم وسوء حالهم وأدبهم، ليتلاحم ذلك الخطاب مع الردع والزجر التالي.

المقطع الثالث: (٧-١٣):

﴿**كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ**﴾ [المطففين: ٧]، يتصل هذا المقطع بما قبله

كما قال الحسن: أن " كلَّا، ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقًّا، إن كتاب الفجار، الذي كتبت فيه أعمالهم، لفي سجين"(١)، أي أن هذا المقطع يبتدأ بالردع والزجر لهم وإثبات البعث لهم على التحقيق وليس كما ظنوا، ويرى صاحب "مفاتيح الغيب" "أنه سبحانه لما بين عظم هذا الذنب أتبعه بذكر لواحقه وأحكامه"(٢). فالعلاقة على هذا تراتبية.

وسماهم الله (فجارًا)؛ لأنهم كذَّبوا بهذا اليوم فاستحلوا لأنفسهم في الدنيا ما لا يحلونه لغيرهم، فأخبر تعالى أن أعمالهم تكتب وتوضع في كتاب في الأرض السابعة السفلى دلالة على مهانة أصحابها وتحقيرًا لشأنهم، وكتابهم هذا يكون معلمًا ومختومًا لا يفتح إلا يوم القيامة الذي يكذبون به، وقوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [المطففين: ٨] لتعظيم هذا الأمر وتهويله.

ثم يتوعدهم الله تعالى بالويل والهلاك لأنهم مكذبون، ولا يكذب بهذا اليوم إلا المعتدي الأثيم، وتأتي الآية الأخيرة مفسرة لهاتين الصفتين، فهو معتد وأثيم لأنه رمى القرآن العظيم المنزل من عند الله بقول كاذب لا يعلمه.

المقطع الرابع: (١٤-١٧):

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، يتصل بما قبله في أن "بل" تأكيد لمضمون "كلا" وبيانًا وكشفًا لما حملهم على أن يقولوا في القرآن ما قالوا،

(١) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد النمر وآخرون، ج ٥، ط ٤، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م. ص ٢٢٣.

(٢) **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ص ٨٦.

وأنه ما أعمى بصائرهم من الرين[١].

فكأن العلاقة هنا بين هذا المقطع وما قبله نتيجة لحالهم من الشرك وما قالوه عن القرآن العظيم، فالآيات تؤكد أن هذا بسبب أن الله تعالى طبع على قلوبهم فلم يروا الحق و لم يؤمنوا، أما التفسير بأن الران هو كثرة الذنوب وغلبة المعاصي فلا يتناسب مع السياق؛ لأن الحديث إخبار عن الكفار الفجار، وهم مشركون وليس بعد الشرك ذنب، أما كثرة الذنوب والمعاصي فتتناسب مع المؤمن العاصي، وليس السياق يحتمله.

ثم أكد الله تعالى أنهم يحجبون عن ربهم يوم القيامة لكثرة ظلمهم وعصيانهم، وتكذيبهم بلقائه، وهذه الآية تمثل أساسًا عقديًا عند أهل السنة في إثبات الرؤية لله – عز وجل- في الآخرة، فإذا حجب أعداءه فلا شك أنه يتجلى لأوليائه، ثم يقال لهم هذا جزاء ما كذبتم به، فتكون الآية متعلقة بما قبلها لوقعها نتيجة لما سبق.

المقطع الخامس: (١٨-٢٨):

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]، اختلف المفسرون في علاقة لفظ (كلَّا) بما قبله، فأكثر المفسرين (كالرازي، والزمخشري، وابن عاشور، المراغي، وغيرهم) على أن كلا هنا ردع وزجر، حيث إنها إما أن تكون إبطال لما تضمنه الخطاب السابق في قوله: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٧]، وإما أن تكون من جملة ما حكي لهم من القول، ثم الجملة التي بعدها ابتدائية جديدة مغايرة في المعنى لما سبق، وإما أن تكون (كلَّا)، اعتراضية لإبطال تكذيبهم السابق[٢].

---

(١) **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ١٩٩.

(٢) **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٢٠٢.

وعلى هذا الرأي يحق للقارئ الوقف على (كلا) ليعلم أنها إما أن تكون نفي لما سبق من اعتقادهم الكاذب، وإما أن تكون ردع لهم وما بعدها مغاير للخطاب السابق. ولكن علماء الوقف لا يجيزون ذلك، فالوقف عليها قبيح كما يقولون[١].

أما إذا حمل معناها على أنها (حقًّا) كما في مثلها مما تقدم فيكون الكلام تامًّا ولا يجوز الوقف هنا كما قالوا، وعلاقة الآية بما قبلها في هذه الحال تكون ابتدائية، ويكون الخطاب فيه مقابلة بين الحالين، والمقابلة من سمات النص القرآني.

إلا أن الأرجح أن (كلَّا) هنا استفتاحية بمعنى (ألا) فقد نقل ابن الأنباري عن السجستاني قوله: "وتجيء في معنى: (ألا) التي هي للتنبيه، يستفتح بها الكلام"[٢] ، وهذا هو ما يتوافق مع السياق في رأي الباحثة.

وجملة: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ﴾ تتصل بالمقطع السابق اتصالًا معنويًا، فإنه بعدما بين عظم كتابهم ومكانتهم، بيَّن لنا عظم منزلتهم، ووصف لنا نعيمهم وما هم فيه من أحوال[٣].

المقطع الأخير: (٢٩- ٣٦):

يتصل بما قبله اتصالًا في المعنى، إذ بعد أن بين الله تعالى أحوال الفريقين؛ الكفار الفجار على حدة، والمؤمنون الأبرار على حدة أخرى، عاد ليبين لنا عاقبة الفجار في

---

(١) ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار: **إيضاح الوقف والابتداء**، تحقيق: محيي الدين رمضان، ج ١، د. ط، دمشق- سوريا، مجمع اللغة العربية، ١٩٧١م. ص ٤٣١.

(٢) **إيضاح الوقف والابتداء**، ج ١، ص ٤٢٣.

(٣) **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ص ٩١.

الآخرة وما ينتظرهم من عقاب واستهانة بهم، "فأعقب بما فيه صفة لعاقبة المشركين في معاملتهم للمؤمنين في الدنيا ليعلموا جزاء الفريقين معًا، وإصدار ذلك المقال يوم القيامة مستعمل في التنديم والتشميت"(١)، والسياق يؤكد ذلك لأنه حكاية عما كانوا يفعلونه بالمؤمنين في الدنيا، إذ استخدم الفعل (كانوا) للدلالة على ما سلف، وصدَّر الكلام بالتوكيد للاهتمام به.

٤- سياق الموقف:

يعد هذا السياق ذا أهمية خاصة لأثره في فهم الدلالة من السياق النصي، وقد عرفه القدماء تحت مسمى (الحال والمقام)، إلا أن الدراسات اللسانية الحديثة طورت من مفهومه ليشمل الكثير من الحقول الأخرى، ويربط بين العلاقات المكانية والزمانية للنص، ويرى أحد الباحثين أن "سياق الموقف عند "فيرث" واسع الدلالة فلا يقتصر على السياقات اللغوية وحدها، بل هو متعدد العلاقات، فهو علاقات بين أشخاص يقومون بأدوارهم في المجتمع، مستعملين في ذلك لغات مختلفة، ومرتبطين بحوادث وأشياء متنوعة لها اتصال وثيق بالمقولة المستعملة وتأثير الحدث اللغوي"(٢).

وعلى هذا فإن سياق الموقف عند فيرث يراعي الأشخاص، والبيئة التي يعيشون فيها، والثقافة الاجتماعية، واللغة التي يتحدثون بها، والأحداث أو الوقائع التي يمرون بها، وبالتالي فإن الخطاب لهم يراعي كل هذه العلاقات.

ويتكون سياق الحال "الموقف" من عناصر ثلاثة:

---

(١) **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٢١٠.

(٢) **دلالة السياق في النص القرآني**، ص: ٤٥

١- "شخصية المتكلم، والسامع، ومَن يشهد الكلام، ودور المشاهد في المراقبة والمشاركة.

٢- العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة بالحدث اللغوي.

٣- أثر الحدث اللغوي في المشتركين، كالإقناع، أو الفرح، أو الألم، أو الإغراء"(١).

وعلى هذا الأساس يمكن للمتلقي فهم السورة بما تحويه من توجيهات:

فالمتكلم هو: الله تعالى، والسامع/المتلقون هم: أهل المدينة أو أهل مكة، أو هما معًا، والعرب من بعدهم، ثم المتلقون هم جميع الناس بعدهم. من يشهد الكلام /الشاهد هو: الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

أما دور المشاهد في المراقبة والمشاركة فقد أمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك، وخرج عليهم في السوق فقرأها(٢).

أما أوضاع أهل المدينة ومكة الاجتماعية والاقتصادية فهي متشابهة إلى حدٍّ كبير، فهما مدينتان يكثر بهما التجار والبيع والشراء والتعامل مع الطوائف المتعددة من الناس، ومع هذا فهم يعيشون ضيقًا في الرزق إلا ثلة قليلة تتمتع بالثراء بينهم، وهذا شأن الكثير من المجتمعات، فكان التجار يتفننون في خداع الناس، فوجد نوع من البيوع فيه خداع وغش كالملامسة(٣)،...

---

(١) **دلالة السياق في النص القرآني**، ص: ٤٥.

(٢) **أسباب نزول القرآن**، ص: ٤٥٢.

(٣) أن يأتي البائع بالثوب مطويًّا فيلمسه المشتري، سواء نهارًا أو في ظلمة، فإذا لمسه وجب البيع دون معرفة طوله أو عرضه. المزني، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل: **مختصر المزني**، ج ١، د. ط، بيروت- لبنان، دار المعرفة، ١٩٩٠م، ص ١٨٦.

... والمنابذة[١]، والمخاطرة[٢]، ووجد من كان عنده صاع (أداة الكيل) يشتري به لنفسه وافيًا، وصاع آخر يبيع به للناس أقل من صاع الشراء لديه فيبيع ناقصًا، وهذا الوضع الاجتماعي يقابله الوضع الثقافي حيث كان العرب يتغنون بمكارم الأخلاق، ويصفون أنفسهم بأرفع الخصال والخلال "وحسبهم أن التطفيف يجمع ظلمًا واختلاسًا ولؤمًا، والعرب كانوا يتعيرون بكل واحد من هذه الخلال متفرقة ويتبرؤون منها، ثم يأتونها مجتمعة"[٣].

أما أثر الحدث اللغوي فقد امتثل أهل المدينة لهذا النهي عن التطفيف، وصاروا من أحسن الناس كيلًا بعد ذلك، " فعن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله تعالى: ويل للمطففين فأحسنوا الكيل بعد ذلك. قال الفراء: فهم من أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا"[٤]، وهذا أثر الحـــدث

---

(١) النبذ: الإلقاء، وهو أن يقول الرجل لصاحبه: أنبذ إليك ثوبي، أو ما في كمي، على أن تنبذ إلي ثوبك أو ما في كمك، فيكون كل ملقى منهما مبيع للآخر دون خيار بينهما. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي**، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، ج ٥، ط ١، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م، ص ٣٣٧.

(٢) المخاطرة هي فِعل ما يكون الخوف فيه أغلب، وهو من بيوع الغرر المنهي عنها. العدوي، أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي: **حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني**، تحقيق: يوسف البقاعي، ج ٢، د. ط، بيروت– لبنان، دار الفكر، ١٩٩٤م، ص ٢٣٩.

(٣) **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ١٩٢.

(٤) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج ١٩، ط ٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م، ص ٢٥٠.

اللغوي لعلمهم بفضله ومكانته وأنه تنزيل رب العالمين.

٥- **السياق الثقافي:**

ونعني به استخدام الألفاظ والجمل بما يتوافق مع النسق الثقافي والاجتماعي للمتلقي، وهو ركيزة أساسية في فهم مقصدية الخطاب، فكلمة ﴿وَيْلٌ﴾ تستعمل عند العرب بمعاني متعددة، لكن السياق حدد معناها هنا بأنها للزجر عن التطفيف، ولكن بعض المفسرين يغرب حين يورد أنها اسم مكان تدل على وادٍ في جهنم بعيدٌ قعره، شديدٌ حرُّه، يسيل فيه صديد أهل النار[١]، وهذا يتنافى مع السياق هنا تحديدًا؛ لأن الخطاب موجه إلى المؤمنين والمشركين، والمشركون لا يؤمنون بالآخرة ولا جهنم، فلا يعنيهم هذا الوادي، ولكنهم خوطبوا بما يعرفونه من لغتهم، بأنها تدل على الهلاك لمن فعل ذلك، والغضب الشديد من صاحب النص حين يخاطب بها.

ويشبه ذلك كلمة ﴿سِجِّينٍ﴾ التي عرف العرب دلالتها الأولية وهي الحبس، فالفجار كتابهم وأعمالهم محبوسة في الأرض السابعة السفلى، أما النسق الثقافي لدى المؤمنين من العرب فقد زاد وعيهم بأمور غيبية علموها من وحي النبوة، فعلموا أن سجين صفة من صفات الصخرة التي يكتب عليها أعمال الفجرة، أو توضع تحتها كتبهم.

وكذلك لفظة ﴿مَرْقُومٌ﴾ فالعرب (المتلقون) يعرفون أن الملوك ترقم كتبها أي: تختمها بخاتم لا يفضه إلا صاحبه الذي يصل إليه، وهذا الكتاب لا يرقم إلا إذا كان بداخله رسالة مرقومة أي مكتوبة، وهو ما يتناسب مع السياق وعلاقة اللفظة بما قبلها (كتاب) وما بعدها (سجين)، أو (عليين).

---

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٩، ص ٢٥٠.

وكلمة ﴿الْأَرَائِكِ﴾ التي لم تكن العرب (المتلقين) تعرفها في محيطها الاجتماعي، ولكنهم يفهمون اللفظ ويعرفون دلالته، مع تناسبه مع الآيات التي ذكرت فيها، فهي توحي بالنعيم والراحة.

وكذلك قوله: ﴿رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ فالمتلقون يسمون الخمر بالرحيق، ويختمون قواريرها بالطين خشية الفساد من جهة، وتعتيقها من جهة أخرى، ولكن الدلالة بين هذا الختم وبين الرقم بعيدة، ولذلك جاءت كل لفظة في مكانها المناسب مع السياق.

وهكذا نجد أن النسق الثقافي يتجاوز كونه مجرد مجموعة من الكلمات ذات معانٍ ثابتة ومحددة. فهو في الحقيقة نظام يولّد عدداً لا متناهياً من المعاني والدلالات، والتي تتشكل وفقاً للخلفية الثقافية لكل متلقٍ وفهمه الخاص.

٦- السياق المقاصدي:

ونعني به فهم المقصد من الخطاب، وما يحمله من بواعث قولية وإيحائية.

اشتملت السورة على مقاصد محددة دارت حولها التفاسير، وسنكتفي بذكر مجملها لضيق البحث وعدم الإطالة، وهذه الأغراض هي:

١- التحذير من التطفيف في الكيل والميزان وفداحة هذا الفعل بأنه تحايل لأكل أموال الناس بالباطل، وأنهم سيحاسبون على هذا القليل في الآخرة، مع التذكير ضمنًا بأنه من الأخلاق المذموم صاحبها.
٢- الأمر بالعدل في البيع والشراء، وهو من الإيمان ومكارم الأخلاق.
٣- تهويل أمر يوم القيامة بأنه وقوف أمام الله تعالى ليفصل بينهم ويجازيهم على أعمالهم التي أحصاها عليهم في الدنيا، فهي مكتوبة كل في كتاب باسمه معلَّم

ومختوم حتى يفض أمامه، وفي ذلك وعيد للذين يكذبون بيوم القيامة.

٤- المقابلة بين أعمال الفجار المكتوبة ومترلة هذه الكتب، وبين أعمال المؤمنين المقربين ومترلة كتبهم، والمقابلة بين حال الكفار من العذاب والهوان والحجب عن رؤية الملك الحق، وحال المقربين في الآخرة ونعيمهم، وسرورهم.

٥- المقابلة بين حال الفجار في الدنيا وسخريتهم من المؤمنين، وبين حال المؤمنين وصبرهم على هذا الأذى النفسي والبدني، وما آل إليه الفريقان في الآخرة من انقلاب الحال.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث الذي تناول السياق القرآني في سورة "المطففين" وموقف المتلقين من فهم الخطاب ومقصديته من خلال السياق، نستعرض أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة وهي كالتالي:

١- إن فهم السياق النصي يعتمد على فهم ما يتعالق معه من سياقات مجاورة تساعد في فهم مقصديته وفك رموزه، من سياقات اجتماعية، وثقافية، وتاريخية، ومكانية، وزمانية، والسياق الحالي أو سياق الموقف، والسياق المقاصدي.

٢- يتفرد النص القرآني بأنه تنزيل من الله تعالى، فهو نص متفرد من حيث البنية والدلالة، كما أنه متناسق في بلاغته، فلا يوجد تفاوت في بلاغته، مع علو أسلوبه ورفعته، وأنه إخبار بغيبيات لا يعرفها البشر، وهو في مخاطبته لهم يوجههم لما هو أصلح لحالهم في الدنيا، ومآلهم في الآخرة.

٣- ٣- يتطلب فهم السياق القرآني فهم أسباب النزول، والوضع الاجتماعي والثقافي للمتلقين، وزمن الخطاب، وفهم المفردات اللغوية وموافقتها للسياق النصي للسورة التي وردت فيها، فالسياق هو الركيزة الأساس للترجيح بين عدة معانٍ أو دلالات متغايرة.

٤- فهم المتلقون الأوائل من العرب مقصدية الخطاب، ودلالة السياق، وعملوا بما أمروا به، لموافقته بيئتهم بما تشمله من محيط اجتماعي وثقافي ولغوي يتناسب معهم ولا يشذ عنهم، وجاء المفسرون بعد ذلك ليبدعوا في فهمهم للنص القرآني عبر فهم السياق والدلالة، ومازال هذا السياق القرآني خصبًا محتملًا للعديد من التأويلات الجيدة.

٥- أثر الخطاب القرآني في المتلقين تأثيرًا مباشرًا وسريعًا، إذ انتهى أهل المدينة حين سمعوا هذه السورة عن التطفيف في الكيل والميزان، وصاروا من أحسن الناس كيلًا، وتعلقت قلوبهم بيوم القيامة وما فيه من أهوال للكفار، وما أعده الله تعالى للمتقين الأبرار.

قائمة المصادر

١- تومي غنية: "**السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث**" مجلة المخبر، جامعة محمد خضير- الجزائر: العدد ٦، ٢٠١٠م.

٢- لايتز، جون: **اللغة والمعنى والسياق**، ترجمة: عباس صادق، مراجعة: يوئيل عزيز، ط ١، العراق، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، ١٩٨٧م.

٣- حماني، حسن: "**السياق اللغوي ولسانيات النص نحو مقاربة منهجية علائقية**"، المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية: مج ٥، ع ٢، ٢٠٢٠م.

٤- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: **لسان العرب**، ج ١٠، ط ٣، بيروت- لبنان، دار صادر، ١٤١٤هـ.

٥- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **أساس البلاغة**، ت: عيون السود، محمد باسل، ج ١، ط ١، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

٦- عمر، أحمد مختار: **علم الدلالة**، ط ٥، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨م.

٧- فتحي، إبراهيم: **معجم المصطلحات الأدبية**، د. ط، صفاقس-تونس، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

٨- حبيب، أيمن: "**أثر السياق في فهم القراءات القرآنية دراسة تداولية**"، مجلة جامعة المدينة العالمية، ماليزيا: ع ٣٨، ٢٠٢١م.

٩- علوش، سعيد: **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ط ١، الدار البيضاء- المغرب، سوشبريس، ١٩٨٥م.

١٠- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: **مختار الصحاح**، ت: يوسف الشيخ، ط ٥، بيروت – صيدا، المكتبة العصرية، ١٩٩٩م.

١١- حمودين، علي، وقاسم، المسعود: "**إشكالات نظرية التلقي: المصطلح، المفهوم، الإجراء**"، مجلة الأثر: العدد ٢٥، ٢٠١٦م.

١٢- عبد الواحد، محمود عباس: **قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي- دراسة مقارنة**، ط ١، مدينة نصر- القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٦م.

١٣- بودرع، عبد الرحمن: "**أثر السياق في فهم النص القرآني**"، مجلة الإحياء، العدد ٢٥، ٢٠٠٧م.

١٤- خطابي، محمد: **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، ط ١، بيروت- لبنان، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م.

١٥- بوستة، محمود: "**الاتساق والانسجام في سورة الكهف**"، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

١٦- خضيّر، علي حميد: "**دلالة السياق في النص القرآني**"، رسالة ماجستير، كلية الآداب والتربية، الأكاديمية العربية- الدنمارك، ٢٠١٤م.

١٧- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر: **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٨- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت: عبد السلام عبد الشافي، ج ٥، ط ١، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

١٩- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي: **أسباب نزول القرآن**، ت: عصام الحميدان، ط ٢، الدمام، دار الإصلاح، ١٩٩٢م.

٢٠- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ج ١، ط ٣، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م.

٢١- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي: **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ط ٣، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٢٢- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي: **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد النجاتي وآخرون، ج ٣، ط ١، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.

٢٣- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج ٤، ط ٣، بيروت- لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ه، ص ٧٢٠.

٢٤- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل: **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ج ٥، ط ١، بيروت- لبنان، عالم الكتب، ١٩٨٨م.

٢٥- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج ١٠، ط ١، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

٢٦- ابن جني، أبو الفتح عثمان: **سر صناعة الإعراب**، ج ٢، ط ١، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

٢٧- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، ج ٢، ط ٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٢٨- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، ج ٢، ط ١، مصر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١٩٧٥م.

٢٩- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي: **التفسير البسيط**، ج ٢٣، ط ١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ١٤٣٠هـ.

٣٠- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد النمر وآخرون، ج ٥، ط ٤، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م.

٣١- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار: **إيضاح الوقف والابتداء**، تحقيق: محيي الدين رمضان، ج ١، د. ط، دمشق- سوريا، مجمع اللغة العربية، ١٩٧١م.

٣٢- المزني، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل: **مختصر المزني**، ج ١، د. ط، بيروت- لبنان، دار المعرفة، ١٩٩٠م.

٣٣- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي**، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، ج ٥، ط ١، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.

٣٤- العدوي، أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي: **حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني**، تحقيق: يوسف البقاعي، ج ٢، د. ط، بيروت- لبنان، دار الفكر، ١٩٩٤م.

٣٥- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج ١٩، ط ٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث: ٥٩٥
المقدمة ٥٩٩
المبحث الأول: الجانب النظري ٦٠٣
تمهيد: ٦٠٣
تعريف السياق: ٦٠٥
تعريف التلقي: ٦٠٧
السياق والنص والعلائقية: ٦٠٩
النص القرآني وتفرده: ٦١٠
السياق القرآني: ٦١٢
المبحث الثاني: الجانب التطبيقي ٦١٥
التحليل السياقي لسورة المطففين: ٦١٥
وصف عام للسورة: ٦١٥
١-السياق التاريخي: ٦١٦
٢-السياق اللغوي: ٦١٧
٣-السياق المكاني: ٦٢٦
المقطع الأول: (١-٣): ٦٢٧
المقطع الثاني: (٤-٦): ٦٢٧
المقطع الثالث: (٧-١٣): ٦٢٧
المقطع الرابع: (١٤-١٧): ٦٢٨

المقطع الخامس: (١٨-٢٨): ٦٢٩
المقطع الأخير: (٢٩- ٣٦): ٦٣٠
٤-سياق الموقف: ٦٣١
٥-السياق الثقافي: ٦٣٤
٦-السياق المقاصدي: ٦٣٥
الخاتمة ٦٣٧
قائمة المصادر ٦٣٩
فهرس الموضوعات ٦٤٣